

الأمير مولاي هشام ابن عم الملك
الاستبدادية ماهرة
ولكنها ليست
آتية
التغيير



ليدها كتابا للمستقبل. كيف نفهم حاضرنا؟ وقد
ت ملامح هويتنا السياسية. يقال "الصحيفة هي ويقة" وهي
. اهدة أمير على عصرها.
كيف نعيد الاعتبار كيف نزيل الـ ي وله إلى ثر رفية تر
وكيف بوسعنا ن نتسلل الى حجرة صحافة الامس لننهل منها ما يفيد كتابة المستقبل يوف الحر نياب
مناء المكاتب السياسية الم
هي الحكاية اذن هاتان الـ
خصيات والموا ..
شيف بإمكانها ان طريق الحاضر وتعيد كتابة المستقبل: مقالات.. ..
... ساهمت في صنع لحظات سياسية من تاريخ بلدنا.
ن قيمة هاتين الصفحتين تكمن في قدرة ها على الحفر في الجذور بعث الحياة في وقا
حياتنا
هنا على يمكننا
يمكن لـ يا بينا ان يروا وجوههم.. ويعيدوا تمل أفكارهم الـ ية..
أرشيف صحافتنا، ليس ملكية خا ولي عليه خاتم: نقفل عليه في ليملو
بار ويطويه النسيان. نه مله معا علنا نكون من المفلحي .



تعرضت البلدان العربية بالشرق الأوسط منذ حرب الخليج الاولى (1990-1991) لمجموعة من الراجات المتتالية لو
أخرى لترتب عنها خلخلة أسس العديد من الأنظمة الحاكمة. التحديات السياسية والاقتصادية
والايدولوجية الضخمة التي واجهتها الانظمة الحاكمة ببلدان الشرق الأوسط منذ ما يقارب العشرين فأنها
المحافظة على بقائها معتمدة بنيات سياسية عتيقة لم تفلح لا الحرب العالمية الثانية ولا عمليات الاستقلال في القضاء
عليها. كم أن القوى الممكنة التي من المفروض أن تضطلع بالتغيير الذي طالما داعب مخيلة الجميع لم تفلح في اقامة
جعل تلك الانظمة الحاكمة التي كانت تبدو كما لو أنها على وشك فقدان كل مصداقية لها
الى تلميع صورتها موهمة أنها بصدد فتح صفحات جديدة من تاريخها وفي الوقت نفسه ظلت متشبثة .
هنا شعور التفاؤل العارم الذي تولد عن انهيار جدار برلين في نونبر 1989 وعن حرب الخليج الأولى (يناير-
1991) حيث تم طرد صدام حسين من الكويت مما جعل الجميع يؤمن بإمكانية ظهور نظام عالمي جديد يت فيه احترام
فيه في كل مكان من العالم فلسطين
وفي سياقها أيضا ستهب على العالم العربي رياح الديمقراطية معايير الديمقراطية وحقوق الانسان واحدة موحدة
في العالم كله وتشجع الأنظمة الاستبدادية على ديمقراطية نفسها بعيدا عن أي اكرام. وفي المستوى الاقتصادي
عمليات "التقويم الهيكلي" (بما فيها عمليات الخصخصة وتقليص المساعدات التي تقدمها الدولة) والاتفاقيات التجارية
والاغراءات المقدمة من أجل تشجيع الاستثمار والمبادرة الحرة الى بروز طبقات متوسطة جديدة.
هذه القوى الاقتصادية والاجتماعية يدا بيد مع قوى وطنية ودولية أخرى على الدفع بالمنطقة على طريق الديمقراطية
والتنمية الاقتصادية. وعلى غرار ما وقع بأمريكا اللاتينية وأوروبا الجنوبية في بلدان مثل اسبانيا واليونان وايطاليا
بالتحولات السياسية ومحركها. هكذا سيغدو
الأوسط أن ينخرط في معمعان ما كان ينظر اليه حينها كحركة تقدم كوني عالمي وبعد عقدين من الزمن ي
حصيلة هذا الزخم من الأمانى والتطلعات في مختلف المجالات (السياسية الاقتصادية الايدولوجية والعلاقات الدولية)

فعلى المستوى السياسي تتوزع منطقتنا ثلاثة انواع من الأنظمة وهي الأنظمة المغلقة

(ليبيا سوريا) حيث لا وجود للتعددية ولو شكليا والأنظمة الهجينة)

(اليمن) حيث يتعايش النظام الاستبدادي مع بعض أشكال التعددية وأخيرا الأنظمة المفتوحة ويمثلها حاليا نظام وحيد وهو السائد بمورديانيا التي عرفت نظاما حقيقيا لتداول السلطة.

تمكنت السياسات الليبرالية الجديدة من تنشيط النمو ولكنها لم تجعل من بلداننا عناصر دينامية فعالة في الاقتصاد العالمي وهي بالتأكيد لم تخفف من البؤس وضروب الظلم الاجتماعي التي تتخر كيان المنطقة صحيح ان خزائن البلدان المنتجة للبتترول أصبحت مليئة باحتياطي ولا يعكس بتاتا أي تطوير وتجديد هيكلي

وبفضل بعض الوسائل من قبيل صناديق السيادة فان بعض هذه البلدان يستطيع استعراض قوته المالية عن طريق اقتناء أجزاء من البلدان الصناعية التي تشهد أزمة ما مما يمكنها من تنويع مصادر مداخيلها. لكن ذلك أيضا ليس سوى نتيجة اختلالات تعرفها بلدان الشمال وليس علامة على تحول ناجح للبنى الاقتصادية بمنطقتنا. أما البلدان العربية الكبرى فإنها ما زالت تواجه مشاكل خطيرة ناجمة أساسا عن النسبة المرتفعة

أكبر هذه البلدان من حيث عدد السكان في التلخص من وضعية البلد المتعیش من المساعدات الخارجية كمصدر استراتيجي للدخل. وفي ما يخص الطبقات الوسطى فإنها تظل تابعة لتدفق مداخيل البترول وعلى وجه العموم سوية الاجتماعية التي لم يتم استئصالها. هكذا يتمكن النظام الاستبدادي الجمهوري والملكي على وجه سواء من المحافظة على بقائه كاشفا عن قدرة هائلة على التكيف. فرجال الأعمال الاغنياء يطلون مدينين للدولة بالعقود التي يحصلون عليها وأيضا بقدرتهم على التأثير في السوق عبر شبكات تتيحها لهم علاقتهم بالدولة فان عليهم أن يظلوا خاضعين للتوجيهات الوزارية والقواعد المتحجرة وقانون

. وحتى المهن الحرة والفكرية تظل مرتبهة لمؤسسات الدولة وتعرض لأقصى العقوبات ان هي تجاؤ

"الفئات الوسطى" يظل مصطلحها مرنا وقد يصدق على فئات اجتماعية واسعة من

رجال الاعمال والمدرسين والمرضين والتجار والفنانين والموظفين. وبعضهم ينحدر من أسر لها حضور بارز محليا أو وطنيا وبعضهم الآخر يضم أشخاصا هم من بين أفراد عائلتهم أول من تمكن من الارتقاء الاجتماعي النسبي ليتجاوز طور الكفاف ويتخلص من الامية والكثيرون من بين هؤلاء لن يسلم من العودة من جديد الى حال الفقر عند اول ازمة. وقد تمكن بعض الضباط السامين في الجيش من شق طريقهم ليصبحوا منتمين الى فئة البورجوازية الجدي استثماراتهم الضخمة في الاقتصاد الوطني. وهم يشكلون الى جانب الموظفين السامين والبروقراطيين الذين استغلوا مناصبهم لمراكمة الثروات قطاعا من "الفئات الوسطى" التي تقف في وجه كل تغيير.

تتفق كلمة كل هذه الفئات في المستوى الايديولوجي على المطالب ب"الديمقراطية" ولكنهم يختلفون حول هذه القضية المهمة أو تلك باختلاف المناطق. نذ بداية التسعينات لم تسمح الأشكال التي اتخذتها الليبرالية الاقتصادية والسياسية بتنامي وتقدم الأفكار التقدمية والعلمانية في أوساط الفئات الوسطى والشعبية. ونتيجة ذلك أن الاسلامية بمختلف تياراتها برزت كأفضل من يعبر عن متطلبات التغيير وأشكال الاحتجاج حتى ضمن فئات تنتمي تاريخيا الى اليسار وتؤمن بالعلمانية كما شأن الطلبة. وذا كانت أصوات العلمانيين والاسلاميين تلتقي في سمفونية كبرى تدعو الى الديمقراطية

الفريق الأول يتغنى بنظام سياسي قائم على السياسية المعترف بها دوليا بينم الفريق الثاني يمتدح أسس نظام سياسي يبنى على مجموعة من القرآنية. ويسعد الفريق الأول الى تأسيس السيادة على الارادة الشعبية

أفواها أو شراء ذممها. وف نفسه الثقة بين هذه رؤيته المناضلون ليس لهم نفس التصور عن التغييرات الأنية المستعجلة الذي يحمله الفلاحون الفقراء المحافظون بطبعهم. وأربا المحليون قد لا يتفقون مع ما يطرحه من مشاريع رجال الأعمال والأطر المرتبطة بمنظمات مالية دولية. وينضاف أخيرا الى كل هذه القطائع والتنافرات الخوف من الاسلامية الاستثنائية وهو شعور نصادفه أيضا في أوساط بعض الاسلاميين أنفسهم. وقد اكتسبت الأنظمة الاستبدادية القدرة على توجيه هذه لصالحها فالدولة لم تعد تطرح نفسها كمدافع وحيد عن حقها الأوحده في ممارسة سلطتها على شعوب غير مؤهلة بل انها بالأحرى أصبحت تقدم نفسها كحام للمعارضين "المعتدلين" في مواجهة اخوانهم الأعداء من "المتطرفين" ويمكن التمثيل لهذه التناقضات بما وقع في مصر فقدت عمدت الحكومة المصرية في اطار برنامجها الليبرالي الجديد الى التراجع عن الاصلاح الزراعي الذي أقره جمال وسلبت الأراضي من ملاكها الحاليين وهم ف وأرجعتها للملاكين الكبار.

المفروض أن يطبق هذا الاصلاح تدريجيا لتمكين الفلاحين من التكيف مع الوضعية الانتقالية ولكن الملاكين قدموا يطردوهم . وتحرك الفلاحون ضد عمليات الطرد وكان يعتقد أن الاسلاميين سيساندونهم في حركتهم الاحتجاجية غير أن هؤلاء فضلوا الحياد دعما منهم لسياسة حسني مبارك ولإيمانهم ذو توجه شيوعي وهكذا تم اقبال الأمل في اطلاق حركة احتجاجية حقيقية في المهدي. ن سيناريو "المواجهة بين المعتدلين والمتطرفين" يسمح للأنظمة الحاكمة بمرونة تكتيكية أكبر اذ لم تعد الحاجة قائمة لتزييف الانتخابات في واضحة النهار كما يمكن القبول بمشاركة أكبر للأحزاب المعارضة ويمكن للحزب الحاكم أن يسمح بالألا يحصل سوى

70	60	90 في المائة كما كان عليه الأمر
----	----	---------------------------------

حي

الخطوط الحمراء ظلت كما كانت عليه. ولم تعد الحاجة قائمة للزج بالأعداد الغفيرة من الناس في السجون ولا اعتقالهم لمدد طويلة باستثناء المتطرفين بطبيعة الحال.

اعلامها ومنظماتها غير الحكومية ومجتمعها المدني المزعوم. يتعلق الأمر بعملية اخراج محكمة السياسي. لم تتغير الأنظمة الحاكمة ذن بفعل الديمقراطية ولكنها تزينت بملحقاتها مما يسمح لنا بأن نسميها على سبيل السخرية النظام الاستبدادي 0.2 وقد أثرت العديد من العوامل الجيوسياسية في هذه التطورات فالانخراط الكبير لمنطقتنا في السياسة العالمية يعود الى الاتفاق الذي وقع بين الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفيلت والملك السعودي عبد العزيز بن 1945 حول التزويد بالبترول. وبعدها تم قبول كل من مصر والأردن بحل ينص على انشاء دولة فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل وحصل أيضا التحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان عربية مختلفة ومنها سوريا

السيادة للكوييت سنة 1991 يرا ضروب التشجيع التي تلقتها الدول العربية لتحرير حياتها السياسية وتطبيق الوصفات الليبرالية الجديدة على اقتصادياتها. 2001 اختارت الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد النظر في الاتفاق الموقع مع منطقتنا فلم تعد الأولوية تعطى للاستقرار الديمقراطية وان بالقوة عند وفي البدء استشعرت العديد من الأنظمة العربية الحاكمة الخوف من هذا التغيير

تنطل عليه الحيلة فقد تظن الى أن هذا الحماس الفياض لم يكن سوى قناع يخفي برنامجا كاملا من التدخلات خدمة كل من الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل ولا غير وسرعان ما تعلمت الأنظمة الحاكمة كيفية قراءة التصريحات المتناقضة الصادرة عن الغرب. لتطمئن على مصيرها اذ يكفيها أن تتصنع الديمقراطية مزينة بها واجهتها شرط أن تتخرط دون شرط أو قيد في "الحرب ضد الارهاب" تبالغ في معارضة الهيمنة الأمريكية أو مصالح

اسرائيل. مؤكدة من جانب لشعوبها أنها ضد الغزو الأجنبي
مساعدة واشنطن على اعتقال الاسلاميين وتعذيب المتهمين المختطفين خارج القانون
" صياغة"

وأفضى تدويل المعركة عن طريق الدولة الأمنية المراقبة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والنضالية الجهادية التي تقودها "القاعدة" الى تبخيس النشاط السياسي المحلي قيمته وابتعاد الفاعلين الميدانيين عن الفعل والمبادرة.
لما التي تقوض أسس السلطة الاقتصادية للدولة وتضطر المواطنين الى الهجرة الى الخارج لضمان مستقبلهم المادي تدفع العقدة العالمية التي ولدتها "الحرب ضد الارهاب" المناضلين الى خوض معارك عالمية وخيالية وكما يهاجر المرء الى فرنسا للعمل هربا من اليأس المخيم في الديار يهاجر أيضا للعراق ليحارب فكم من عمليات جهاد ضخمة قام بها أناس جاؤوا من بعيد وغالبا من مناطق ظلت نسبيا بأمن من النزاعات كما هو حال المغرب. يفضي الحرمان الاجتماعي الى نوعي من الابتعاد عن السياسة الانسحاب والراديكالية وخير مثال على ذلك الجزائر البداية كانت هناك الجبهة الاسلامية وجاءت بعدها الجماعة الاسلامية المسلحة التي سعت الى الاطاحة به وظهر أخيرا تيار أكثر راديكالية وهو الجماعة السلفية للدعوة والجهاد التي تحولت الى فرع القاعدة ببلاد ي ارتدت عليها. يبدو اذن أن الذين لا يمكنهم الفرار خارجا يتحركون في الداخل وينسبون أنفسهم الى تنظيم عالمي أمليين أن يصدقهم الناس رغم أن علاقاتهم بذلك النظام علاقات متوترة. وهذا ما يسمح للقاعدة أن تكون يتقمصها وأيضا كل مسلم غاضب غير راض قد يتهم بكونه اراهيبا بالقوة هكذا تقتحم الحرب ضد الارهاب كل الحارات. وهنا يجب التمييز بين الدعاية والواقع فمن المؤكد أنه يوجد في العالم أشخاص خطيرون مستعدون للقتل وتعريض أنفسهم للقتل والبعض منهم تحركهم ايديولوجيات اسلامية " د الارهاب" ولدت جوا رهيبا من الرعب وخلقت مخاوف وكوابيس حقيقية بلغت حدودا غير معقولة.
" " 2006 500 عملية اراهيبية واحدة منها أمكنت نسبتها الى اسلاميين وهي عملية لم تنجح. وفي تجربة حديثة أجريت بالولايات المتحدة الامريكية "ترنسبورتايسن سيكوري تي سيستم" من خداع الحراس المكلفين بأمن المطارات ست مرات من عشر باستعمال قنابل زائفة أنجليس. لم تقع أية عملية اراهيبية في هذا البلد منذ 2001. فلو كانت هناك خلايا جهادية نائمة تتحين الفرصة لكان أمرها انكشف. وخارج مناطق المعارك يندر وجود الارهاب الاسلامي "بالتقسيط".
فان الغزو الأجنبي هو الذي ولد أشكالا وتقنيات للمقاومة وأنماطا غير مسبوقة في التنظيم فروع القاعدة أو جماعات تقلدها. فغير خاف أن كل أموال العالم وكل الجيوش وكل قمع العالم يظل عاجزا عن إيقاف انتحاري مصمم على فعله.

لا أحد يمكنه انكار وجود تهديدات حقيقية خارج منطقة المعارك ولكن الشرطة والمخابرات يمكنها محاربتها بنجاح بل انهما بينا بالملمس قدرتهما على الاضطلاع بهذه المهمة يجب أن تتجه الجهود نحو تجريم الارهاب تسييس "الجهاد". فان صناعة الارهاب أصبحت جزءا لا يتجزأ من علاقتنا بالغرب هكذا تتدفق أموال المؤسسات ومفكري الغرب الاستراتيجيين مصحوبة بالدعم السياسي والتغطية الاعلامية الضخمة لكل من ينتمي الى المنطقة ويساعد على تضخيم فزاعة "الحرب ضد الارهاب" لم يتحقق الأمن آليات التحكم والضبط التي تزيد في عمر الأنظمة الحاكمة. وحل الخوف من الارهاب بطريقة مدروسة ليعوض التبريرات

القومية التي كانت سابقا تسوغ تأجيل الديمقراطية. صحيح أن الديمقراطية تمر لأنها أخلفت وعودها ولكنها مزدرة في ديارنا قبل أن توجد بل ان الكلمة نفسها لا تحظى بالمصداقية أصبحت "الديمقراطية" المرادف الكريه لنفاق الأنظمة القمعية وبرنامج المحافظين الجدد الداعي الى الاستباقية الدولي لا يولي أية أهمية للتقارير أو التحليل التي تقدمها بل انه فرض عقوباته لأن الناخبين اختاروا بالأغلبية التصويت على حركة حماس ونتيجة لتلك العقوبات نشهد الآن مأساة حقيقية حيث يعيش مليون ونصف فلسطيني تحت الحصار ويعانون من الجوع في قطاع غزة. أصبح الأمل في احلال الديمقراطية بمنطقتنا أملا واهيا التي تأتي تاريخيا بالتغيير من مناضلين نقابيين وسياسيين وطلبة لم يعد لهم حول ولا قوة. من أقليات جهوية أو لغوية ومن صحفيين ومتقنين مستقلين فانهم يجدون صعوبة في رص صفوفهم للتحرر من ردة سياسة استبدادية متجذرة منذ عقود وعقود.

وليس التغيير التي ستبرز الى الوجود في خضم المقاومات الجانبية .
بيدي بعض القضاة والمحامين مقاومة شجاعة
مجموعة من الصحفيين من أجل حرية التعبير.
روابط جديدة بين الاسلام والديمقراطية والتحديث.
يناضل
يبتدع مجموعة من المفكرين الدينيين

من الأكيد أن الدولة الاستبدادية ماهرة خبيرة بامتصاص التغيير وتحويل مجراه بيد أنها ليست آلة كاملة لا يمكن اختراقها فكل الفضاءات التي أبدعتها من أجل المناورة تشكل أيضا مساحات حقيقية لممارسة الفعل السياسي. النهاية أن توجد بعض المنافذ وان المفاجأة آتية لا مناص ذلك أن أغلب تجارب الانتقال الديمقراطي في العالم وقعت في تبادلية "هجينة" ومن أجل المساهمة في التغيير علينا أن "نضفي الطابع الأهلي" على الخطاب التقدمي الروح في الهدف المشترك الذي يشمل الأمة والاسلام ولكنه لا يقتصر عليهما علينا أن نقدم رؤية تتجه الى حاجات وفي الآن نفسه تجعلهم ينخرطون في مشاريع أوسع للديمقراطية . بما تقدمه لنا أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من هذه البلدان ان كانت حقا تريد تثبيت الديمقراطية في ديارنا فعليها تبدأ بالاستجابة بجدية وفعالية للانشغالات المحلية "الديمقراطية" ما لم يتحرر من ضغط الأهداف الجيوسياسية لم يعط الأولوية للتعاون مع الحركات التقدمية المحلية. إ الناس في حاجة الى تنفتح أمامهم ذلك مطمحمهم ومساعدهم. هنا اذن يجب أن يتحرك التقدميون وبيادروا. وبهذه الطريقة سيقام نظام سياسي ديمقراطي شكلا ولا يهم حينها اللغة التي سنستعملها لوصف هذا النظام.

8 أبريل 2008- محاضرة الفيت بمجلس العلاقات الدولية بمونتريال